وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

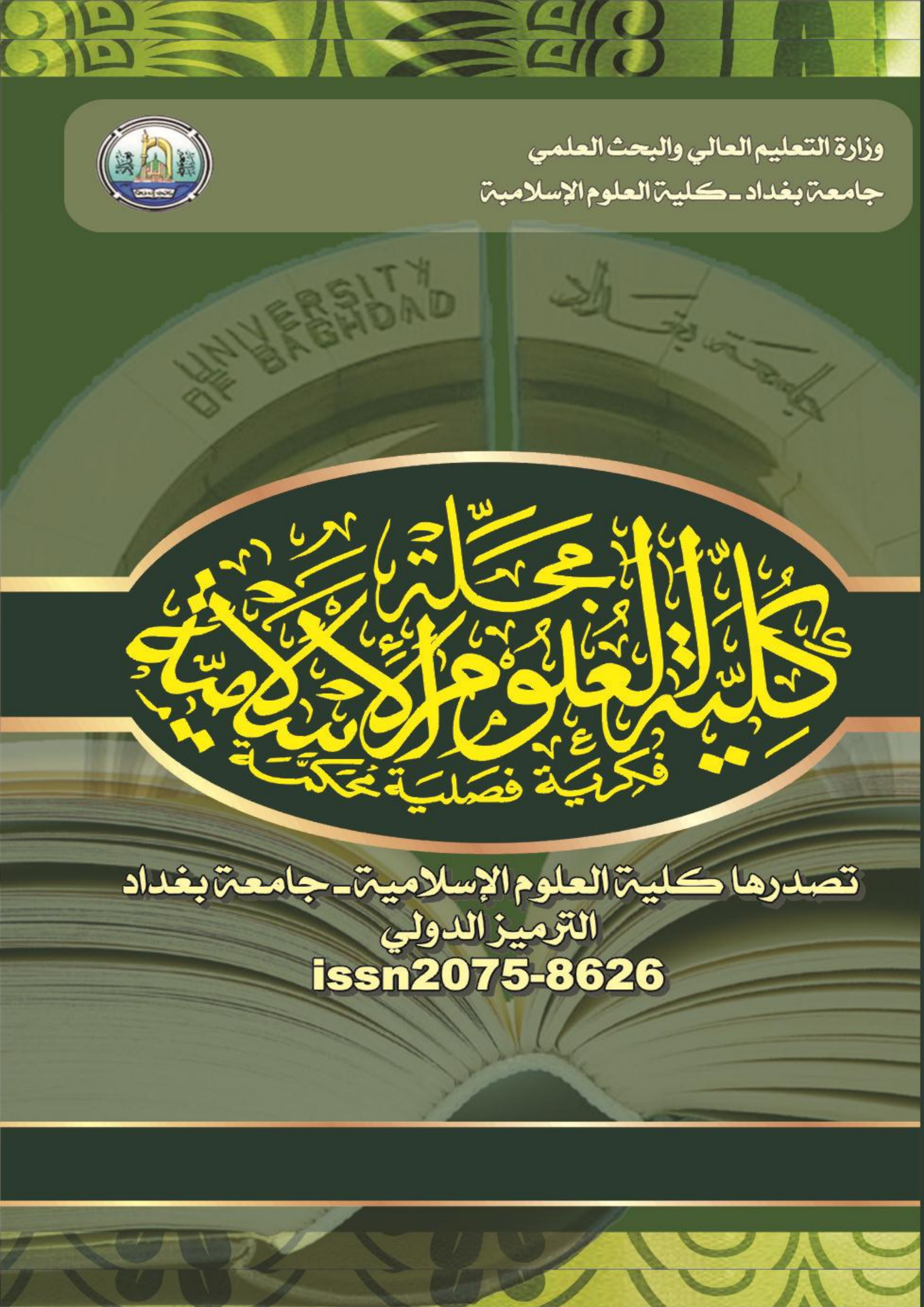

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد . كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية . فصلية . محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــدد
(٤٥)

﴿ الجـــزء الاول ﴾

٢٠جمادي الآخر ١٤٣٧هـ / ٣٠ اذار ٢٠١٦م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الاول)

❁ كلمة العدد ..... ص ﴿١٢-١٣﴾

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
اشكالية فهم مسألة "ما أغفله عنك شيئاً" عند سيبويه	الاستاذ الدكتور محمد جواد محمد سعيد الطريحي الاستاذة سارة كاظم عبد الرضا	١٤ -٢٦
خصائص الخطاب اللغوي في القرآن الكريم	أ.م. د بلال عبد الستار مشحن	٢٧-٤٨
الدلالة الصوتية للتماثل الصامتي في صيغة (يتفعّل) في القرآن الكريم	أ. م. د. أشواق محمد إسماعيل النجّار	٤٩-١٠٨
أثر التعبير القرآنيّ في الصورة الشعريّة في الشعر المشرقي في القرن الثامن الهجري	أ.م.د . إسراء خليل فياض الجبوري م. م. أحمد عبد الله عذيّب	١٠٩-١٣٨
الدّلالة البيانيّة لـ (إنْ) و (إذا) الشّرطيّتين في سورة المائدة	أ.م.د. نافع سلمان جاسم	١٣٩-١٥٩
السياق وأثرُهُ في تَخَيُّر المفردة القرآنية دراسة تطبيقيةٌ في بعضِ آيات التكرارِ	ا. م. د. محمد فرج توفيق	١٦٠-١٨٩
احكام تغير قيمة النقود واثارها	د. احمد عبد الله اسماعيل الهاشمي	١٩٠-٢١٩
أحاديث العقل والتفكر كما جاءت في السُّنة النبوية وأثرها في السلوك الإنساني	الدكتور محمد صفاء جاسم	٢٢٠-٢٦١
أحكام الصلاة على الكراسي	د .صهيب سليم عمير الآلوسي	٢٦٢-٣١١
أحكام أخذ الأم أجرة الرضاع دراسة فقهية مقارنة	د. قاسم محمد حزم الحمود	٣١٢-٣٤٢

﴿ فهرس الموضوعات﴾

(الجـــزء الاول)

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
الإمام سعيد بن جبير وجهوده في الناسخ والمنسوخ	أ.د . زياد علي دايح	٣٤٣-٣٦١
قاعدة (حقوق الله -سبحانه وتعالى- مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الآدميين مبنية على الشح والضيق) وتطبيقاتها في الفقه الجنائي.	الباحث: مايد أحمد عبدالله عبدول	٣٦٢-٣٨٧
تنظيم المجتمع وأثره على الأمن الاجتماعي	أ.م.د. عبد هادي القيسي	٣٨٨-٤٠٢
استدراكات ابن الانباري النحوية على أبي حاتم السجستاني من خلال كتابهِ إيضاح الوقف والابتداء	الباحث: مظر محمود يحيى	٤٠٣-٤٢٥
صلة الرُّتبة المقصديَّة باستعمال الأدلّة الحِكْميَّة دراسة أصوليَّة تحليليَّة	د. نجم الدين قادر كريم الزنكي	٤٢٦-٤٧٧
حديث أم زرع وأثره في السعادة الزوجية	الدكتور محمود دهام نايف العيساوي	٤٧٨-٥١٠
أنوار البيان في الجزء الأول من القرآن	الدكتور طالب خميس الوادي	٥١١-٥٣٦
رسالة للشيخ الجمل خاتمة البخاري للشيخ سليمان الجمل (ت ١٢٠٤ هـ) دراسةً وتحقيقاً	د. طـه حميد حريش الفهداوي د. عبد الجبار عبد الستار روكان	٥٣٧-٥٨٢
رسالة في تفصيل ما قيل في أبوي النبيﷺ لابن كمال باشا(ت٩٤٠هـ) دراسة وتحقيق	د. أحمد كامل سرحان	٥٨٣-٦١٤

السياق وأثرُهُ في تَخَيُّر المفردة القرآنية

دراسةٌ تطبيقيةٌ في بعضِ آيات التكرارِ

ا. م. د. محمد فرج توفيق

جامعة بغداد _ كلية العلوم الإسلامية _ قسم اللغة العربية

Context and its impact on the choice

of single Quranic,

applied study in some of the verses of repetition

Dr. Mohammed Faraj Tawfiq

Baghdad University Faculty

Of

Islamic Sciences _ Department of Arabic Language

السياق وأثرُه في تَخَيُّر المفردة القرآنية دراسةٌ تطبيقيةٌ في بعضِ آيات التكرارِ

ملخـــص البحـــث

تناول البحث دراسة التَخَيّر بيّن مجموعة من الألفاظ المختلفة بيّن النصوص المكررة في الآيات القرآنيّة الكريمة وبيان السبب وراء هذا الإختيار ، وكيف أنّ للسياق الأثر الأكبر في هذا الإختيار ، وأنّ كل لفظٍ في القرآن الكريم وُضِع في مكانهِ الأنسب الذي لايمكن استبداله بما يرادفه من الألفاظ مهما بلغت درجة التشابه بينهما في الدلالة على الآخر لأنّه يبقى في الأخير أنّ لكل مفردة من تلك المفردات المترادفة دلالتين ، الأولى منهما خاصة والتي تجعل من إمكانية إستبدالها بما يرادفها من مفردات مستحيلة ، والثانية الدلالة العامة وهذه الدلالة تجعلها تشترك مع قريناتها في جانب من جوانب الدلالة ، وأنّ السياق هو المسؤول الوحيد عن تجلية الدلالة الخاصة من العامة ليضعها في مكانها الأنسب ، وقد قسمت بحثي على مقدمة وتمهيد ثم تلوتهما بمبحثين كان الأول منهما في التخير بين الأسماء فيما عنى الثاني منهما بالتخير بين الأفعال ثم النتائج فالمصادر ، مبتغياً من وراءه رضا الله والخوض في أقدس كتاب عرفته البشرية علنا نفوز بالقراءة فيه والنظر إليه والتأمل منه والتفكر به

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلين ، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين ، وصحبهِ الغُر الميامين ، ومن سارَ على هديهم إلى يومِ الدين .... وبعدُ

فإن من رحمةِ اللهِ بعبادهِ أن يَمُنَ اللهُ عليهم بنعمة التفكرِ والتدبرِ في كتابهِ العزيز الذي لاتنقضي عجائبُهُ ولايُحاط بإعجازهِ ، فهو دستور المسلمين الخالد ، ومنهلُ العربيةِ الأصفى ، ومَثَلُها البياني الأعلى ، ولمّا كان كذلك كان لابُدّ لمن يقْدم لتفسيرهِ أن يحيطَ بالعربيةِ ، وفهم أساليبها لفهم المعاني ، ومعرفةِ الفروق الد قيقة بين كلِ لفظة ليتسنى لهُ معرفة القصد الذي جاء بهِ النص القرآني ، وسبب تَخَيُّرُهُ لفظاً على آخر يكاد يكون مقارباً لهُ في المعنى ضمن آيات سميت بآيات التكرار في القرآن الكريم .

والحقيقةُ أنّ العلماء من المفسرين واللغويين لم يبخلوا بجهدهم في مثل هذه الموضوعات ، فهو جانبٌ من جوانب الإعجاز فأولوها اهتماماً خاصاً ، فمنهم من أفرد لذلك مصنفاتٍ ، ومنهم من تناثرت أقوالُه عنها في معرض تفسيره لآي الذكر الحكيم ، وقد أجمعوا واتفقوا على ان للسياق الدور الأكبر في هذا الإختيار، وهذا مما لاينكرهُ أحد ، وبمحاولة مني لدراسة العلّة في تَخَيُّرِ بعض الألفاظ على بعضٍ ، عزمتُ وبعد التوكلِ عليهِ تعالى على دراسةِ هذهِ العلة التي من أجلها فُضِلت ألفاظٌ على أخرى تكادُ تكون قريبةً منها في المعنى ضمن آيات التكرار في القرآن الكريم (مُجتزءاً النص المكرر بين الآيتين) ومتخذاً من آراء العلماءِ الاقدمين والمفسرين ممن كتبوا في هذا الموضوع مُدْخلاً أثبتُ فيه صحة ماذهبوا إليه فأتوغل في النّص وأعقد على أساسهِ موازنةً لغويةً لتلك الألفاظ المُختارة ومن ثَمّ الوصول إلى الفروق الدقيقة بين تلك الألفاظ والتي على أساسها حلّت مفردة ما دون قرينتها ضمن النص القرآني نفسهُ ، مفصلٌ ماذكروهُ من أنّ للسياق الأثر الأكبر في هذا الإختيار ليكون البحث مكملاً لما ذهبوا إليه .

وقد اتبعت في ترتيب الآيات بحسب ترتيب السور التي احتوتها من القرآن الكريم ، متخذاً من السورة الأولى من كل مثال اساساً للترتيب ، علماً أنني أحصيت مايمكن لبحثٍ مصغرٍ احتواوَه ، تاركاً الأخرى لبحثٍ موسعٍ في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى .

هذا عملي فإن أصبت فذلك فضلٌ من الله تعالى ، وإن أخفقت فهو مني ، سائلاً المولى جلّ وعلا أن يجعلهُ خالصاً لوجهه الكريم ، وقد قسمت بحثي على النحو الآتي :

المقدمة

التمهيد

المبحث الأول : التَخَيُّرُ بيّن الأسماء

المبحث الثاني : التَخَيُّرُ بيّن الأفعال

الخاتمة وأهم النتائج

التمهيد

لابُدّ لنا ونحنُ بصدد دراسةِ موضوعٍ ما أن نُعَرِّجَ على أهم المصطلحات التي قد تخفى على القاريء ، ولاسيّما مايعنيهِ العنوان (السياق وأثرُهُ في تَخَيُّر المفردة القرآنية ، دراسةٌ تطبيقيةٌ في بعضِ آيات التكرارِ) ليتسنى للقاريء معرفة مضمون البحث من خلال عنوانه .

فالسياقُ في اللغةِ : من السوق ، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً ، وتساوقت الإبل إذا تتابعت [١] ، ويمكن أن ننقل هذا المعنى الحسي إلى المعنى المعنوي فنقول : إنساق الكلام وسياق الكلام : تتابعهُ وأسلوبُهُ الذي يجري عليهِ [٢]، فالسياقُ إذاً : تتابع الكلام وتراسُلُهُ في نسق .

أما في الإصطلاح : فهو مايسمى بالقرينة الحاليّة ، فالسياقُ تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليهِ مباشرةً وتحدد من خلالها المعنى المقصود [٣]، فهو(العش التي تحيا فيهِ اللفظةُ ، ويعكسُ تشابك العلاقات بيّن المعطيات الصرّفيّة والنحوية ، وبمساعدة الجانب الوظيفي الإجتماعي للغةِ وتعدد المعنى الوظيفي للأداة ، ودلالتها حسب مايحددها السياق) [٤]

فمعلومٌ أنّ لكلِ كلمةٍ معنى ثابتٌ نسبياً هو المعنى المعجمي (خارجٌ عن السياق) [٥] وإنّهُ يختلفُ عن معناه ضمن الجملة ، إذ يَعِدُّ بعض اللغويين أن الجملة من أهم وحدات المعنى ، لابل أنّ هناك من يذهب إلى أنّ وحدة المعنى الرئيسة هي الجملةُ لا الكلمة ، لأنّنا بالتأكيد نتفاهم بالجملِ وعند هؤلاءِ لايوجد معنى منفصل للكلمة وإنما معناها في الجملة التي ترِدُ فيها لأنّ الكلمات إن كان لها معنى فإنها تستقيهِ من عملها في الجملة [٦] وإنّ سياقَ الجملةِ وحدُهُ المسؤول في الكشف عن المضامين الداخلية للكلمات المرتبطة بقضايا الإنفعال الداخلي والعاطفي ، وعن الدلالات الإيحائية وماتحويه الكلمات من علاقات ايحائية تبرز لنا عن طريقهِ [٧] ، فضلاً عن تحديده المعنى المركزي والمعنى الثانوي للكلمة ، حيث يقابل المعنى المركزي المعنى المعجمي .

فيما يقابل المعنى الثانوي معنى اضافي متغيرٌ بتغير السياقات [٨] ، وإنّ السياق هو الذي يخلّص الكلمات من تلك المعاني الإضافية [٩] ويجعلها مستقرّة في ذهن الإنسان ، وهذا يقودنا إلى حقيقةٍ مفادها : إنّ السياق وحده المسؤول عن تحديد جميع الظواهر اللغوية التي قد ترد ضمن الجملة ، ومن دون فهم السياق فإنّهُ لايمكن تحديد اي منها .

أما الأثَرُ : فهو من التأثير : أي إبقاءُ الأثرِ في الشيءِ ، وأَثَرَ في الشيءِ : تَرَكَ فيهِ أثراً ، والأَثَرُ : بقيّةُ مايُرى من كلِ شيءٍ . [١٠]

أما التَخَيّر: فهو من الخَيْر، وهو ضد الشر وجمعهُ خيور ، وخار الشيءَ واختارهُ : انتقاهُ ، وتَخَيَّر الشيءَ : اختارهُ ، والاسم : الخِيرَة ، والتَّخَيُّرُ : الإختيار والإصطفاء ، وقوله تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) القصص: ٦٨ ، قال ابن الاعرابي : نَحَرَ خِيَرة إبله وخُوَرَةَ إبله وأنت بالخِيار وبالمُختار سواءٌ : أي اختر ماشئت ، وخَيَّرَ : فَضَّلَ ، والاستِخارةُ : طَلَبُ الخِيرَة في الشيءِ [١١] ، يُقال : تخير الشيء واختاره : أخذ خيره [١٢] .

وفي ضوءِ ماذكرنا أجد أنّ الصورة اصبحت أكثر وضوحاً في المُراد من عنوان البحث (السياق وأثرُهُ في تَخَيُّر المفردة القرآنية ، دراسةٌ تطبيقيةٌ في بعضِ آيات التكرارِ) وهو بيان السبب في تخيير ألفاظ على أخرى تكاد تكون مشابهة لها في المعنى ضمن آيات التكرار في القرآن الكريم وكيف أنّ للسياق الأثر الأكبر في هذا الإختيار

والحقيقةُ أنّ ظاهرة التَخَيُّر بيّنَ المفردات المتقاربة المعنى ضمن آيات التكرار في القرآن قد لاقت اهتماماً من المتقدمين والمتأخرين ممن تعرضوا لتفسير القرآن الكريم فقد لاحظوا ذلك وتَنَبْهوا له ، ويمكن القول انهم انقسموا في ذلك على قسمين أو اتجاهين :

الأول : هم الذين عَنوا بالظاهرة ، وأولوها عنايةً خاصةً ، فأفردوا لها مؤلفات ، حتى بدت ملامحها جلّية على عنوانات مؤلفاتهم ، أذكرُ منها على سبيل المثال : الفروق اللغوية _ لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، ودرة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ) ، ومفردات ألفاظ القرآن ، والمفردات في غريب القرآن _ للراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) ، والبرهان في توجيه متشابه القرآن المسمى أسرار التكرار في القرآن _ للكرماني (ت٥٠٥هـ)، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل _ لأبي جعفر الغرناطي (ت٧٠٨هـ) ، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني _ للحموي (ت٧٣٣هـ) ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز _ لمجد الدين الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ، وقطف الأزهار في كشف الأسرار _ للسيوطي (ت٩١١هـ) ، وغيرها من المؤلفات التي عنت بالأعجاز البياني والتعبيري للقرآن الكريم و التي يلمح القاريء لعنواناتها من الوهلة الأولى انها كتب تعنى بدراسة الفروق اللغوية الدقيقة بين المفردات المتشابهة أو المترادفة .

أما الإتجاه الثاني : من المفسرين ، فهم الذين طبّقوا لهذه الظاهرة دون تخصيص مؤلفات لذلك ، ولكن جاءت تطبيقاتهم في معرض تفسيراتهم لآي الذكر الحكيم ، وهذا مايمكن أن نستشفهُ في ضوءِ مااستعملوه من مفردات تشير بوضوح إلى الفروق اللغوية الدقيقة بين المفردات المترادفة ، مثال ذلك لفظة (أَلْيَقُ) والتي ظهرت في أكثر من موطن من تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ) ، فيما استعمل ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) لفظتي (أَنْسبُ ، أَلْيَقُ) في مواطن عديدة من كتابه _ التبيان في أقسام القرآن ، أما ابن كثير (ت٧٧٤هـ) فقد استعمل لفظة (أَنْسبُ) في تفسيرهِ، وأستعملها مع (أَلْيقُ) الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه البرهان في علوم القران ، ومثله استعمل كلاً من الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) والآلوسي (ت١٢٧٠هـ) في كتابيهما _ فتح القدير ، وروح المعاني ، ومن المُحْدَثين أطلقت الدكتورة عائشة بنت الشاطيء (ت ١٤١٩هـ) لفظة (إيثار) على مثل هذا النوع من الفروق اللغوية بين المفردات المترادفة في كتابها التفسير البياني للقرآن الكريم [١٣]، فيما استعمل الدكتور فاضل السامرائي لفظتي (اختار وناسب) وغيرها من المصطلحات التي تدل على حسن الاختيار وسيتضح ذلك جلياً في أثناء البحث عند استعراضنا لبعض النصوص المستقاةُ من بعض مؤلفاته .

ولمّا وجدتُ فيما بحثتُ من هذهِ الظاهرة ، ولاسيّما وأن أغلب المفسرين اللغويين ، كأبن عطية (ت٥٤٦هـ)، وأبي حيان (ت٧٤٥هـ) ، والسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، وأبي السعود (ت٩٥١هـ) ، وغيرهم ممن كتبوا في هذه

الظاهرة فإنّهم وإن تعمقوا في تحليل هذهِ النصوص وعنوا بهذهِ الظاهرة إلا إن سر الإعجاز القرآني الذي لاتنقضي عجائبُهُ ولايُحاطُ بإعجازهِ يجعلُ من تلك الظواهر مادة خصبة تصلُح للعملِ في كلِ زمانٍ ومكان ، فعزمتُ على دراستها لأجعل منها دراسةً مكملة لما أجمعوا عليه من أنّ للسياق الأثر الأكبر لهذا الإختيار فأتوغل في النّص وأعقدُ على أساسهِ موازنةً لغويةً لتلك الألفاظ ومن ثَمّ الوصول إلى الفروق الدقيقة التي على أساسها حلّت مفردةً ما دون قرينتها ضمن النّص القرآني الذي يكاد يكون متقارباً بين الآيتين المكررتين لأَصِلَ إلى حقيقة مفادها :

أنّ العمل بالمتشابه هو عمل ليس بالهين ، وأنه يتطلب أمرين ، الأول منهما : هو عقد الموازنة اللغوية بين المفردتين المختلفتين بين الآيتين المتشابهتين أو ما يمكن أن نسميه الآية المكررة .

والثاني : أنّ مسألة تفسير اللفظة بمعزل عن السورة التي وردت فيها هو أمرٌ مرفوض ، ولابُد من عقد الموازنة اللغوية بين أسلوب الآيتين ومن ثم الوصول إلى علة مجيء المفردة كل على حسب السياق والمعنى المطلوب، إذ إن هناك الكثير من الكلمات التي يُعتقد أن المعنى فيها واحد ، لكن الحقيقة غير ذلك : إذ إن لكل لفظة من الألفاظ المترادفة معنيين : معنى عام ، وهو ما تشترك به مع قريناتها من المترادفات ، والذي يمكن أن نطلق عليه بالدلالة العامة للمفردة ، ومعنى خاص: وهو مايميزها عن قريناتها ، والذي يمكن أن نطلق عليه بالدلالة الخاصة للمفردة ، وأن السياق هو المسؤول الوحيد في إبراز هذه الدلالة الخاصة ، وفي ذلك يقول ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) : ((كل حرفين اوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ربما عرفناه فاخبرنا به وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله))[١٤] وهذا مأكده الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بقوله : ((وقد يستخف الناس ألفاظاً، ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها .

ألا ترى أنّ الله – تبارك وتعالى – لم يذكر في القرآن (الجوع) إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع ، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر (المطر) ، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الإنتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث))[١٥] .

وفي كلامه (الجوع إلا في موضع العقاب ، والمطر إلا في موضع الإنتقام) مايدل ان قوله : (موضع) هو السياق بعينه ولايحتمل أي تفسير آخر لهذه المفردة ، كذلك نفهم من قولهِ (وقد يستخف الناس ألفاظاً، ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها) من وجود فروق دلالية دقيقة بين الألفاظ التي يُعتقد أنّها مُترادفة ، ويمكن أن نستشف ذلك جلياً وواضحاً من كلام الدكتور رمضان عبد التواب (ت١٤٢٢هـ) عند تعريفه للمترادفات بقولهِ : ((المترادفات : هي ألفاظٌ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياقٍ ، والترادف التام _ رغم عدم استحالته _ نادر الوقوع إلى درجةٍ كبيرةٍ ، فهو نوع من الكماليات التي لاتستطيع اللغة أن تجود بها في سهولةٍ ويُسْرٍ فإذا وقع هذا الترادف التام ، فالعادةُ أن يكون لفترةٍ قصيرةٍ محددة ، حيث ان الغموض الذي يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لاتلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويضِ أركانهِ ، وكذلك سرعان ما تظهر

بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانبٍ واحدٍ فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد))[١٦] .

وبقوله : الترادف التام نادر الوقوع دليل على وجود الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ المترادفة ، وفي قولهِ : (حيث ان الغموض الذي يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لاتلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويضِ أركانهِ) دليلٌ على أثرِ السياق في تحديدِ الدلالة المناسبة للمفردة والذي تستقيهِ من السياق الذي تحلُ فيه ((فالألفاظ لبنات التراكيب ، وليس لكلمة فضل على أخرى إذا كانت وحدها فإذا نظمت في جملة أو عبارة وضحت قيمتها .

وكانت بذلك النظم دليلاً على نفسها من حيث روعتها أو سقوطها ، وألفاظ القرآن إذا انصرفت عن النظم ، وكانت بعيدة عن مجال التصوير ألفاظ عادية من جنس الألفاظ العربية التي يحتمل كل منها دلالة خاصة ، والأسلوب قد يبهرك رصفه ويسحرك وصفه ومعناه ، ولاتملك إلا أن تستحسنه وتستعذبه ، لِما به من سحر الطلاء ، فإذا أفضضت نظامه ، وفرقت متجمعه ، لم تبد فيه ميزة يفوق بها غيره من الأساليب))[١٧] ، ومن هنا يتبيّن أن لتوخي الدقة في اختيار اللفظ مع مراعاة التركيب الأثر البارز في صياغة السياق ، فالألفاظ (يحبو ، ويخطو ، ويمضي ، ويدنو) كلها ألفاظٌ تدل على الحركة والسير ولكن إذا ماأردنا أن ندخلها ضمن السياق والتركيب الصحيح ، يكون لِزاماً علينا أن نقول (الطفلُ يحبو والشابُ يخطو والعمرُ يمضي والموتُ يدنو) .

وعلى هذا فينبغي للمتدبر في كتاب الله العزيز أن يضع نُصْبَ عينيه كل تلك الأمور مجتمعة ، ليتسنى له وتنكشف أمامهُ الأسرار في الأسباب التي من أجلها وُضِعتْ هذه المفردة لا تلك .

المبحث الأول

التَغَيُّرُ بيَنَ الأسماء

(الله) و (رب) والعكس

قوله تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) البقرة من الاية ١٧٣

وقوله تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)الأنعام من الاية ١٤٥

نجد إن السياق القرآني قد عدل عن لفظ الجلالة (الله) فاختارلفظ (رب) ضمن النص القرآني نفسه ، وقد علّل المفسرون ذلك باراء ، منهم الخطيب الإسكافي الذي فنّد ذلك بقوله : ((لكل موضع معنى يوجب اختصاص اللفظ الذي ذكر فيه، أما الأول فلأنه لما قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) وختم بقوله : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ) كذا كان بما قدمه مثبتا عليهم إلهيته لأن الإله هو الذي يحق له العبادة بما له من النعمة فلما قدم ذكر ما رزقهم منها وطالبهم بشكرها أتبعه بقوله : (إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) وختم الآية بأن قال :(إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي من أنعم عليكم غاية النعمة واستحق بها غاية التعبد والتذلل هو الذي يغفر لكم عند الضرورة تناول ما حرمه عليكم في حال الاختيار رحيم بكم))[١٨] .

فيما تحدّث الكرماني عن ذلك قائلاً : ((لأن لفظ الرب تكرر في الأنعام مرات ولأن في الأنعام قوله :(وهو الذي أنشأ جنات معروشات) وفيها ذكر الحبوب والثمار وأتبعها بذكر الحيوان من الضأن والمعز والإبل وبها تربية الأجسام فكان ذكر الرب فيها أليق))[١٩] .وهذا ماذكرهُ الفيروز آبادي والسيوطي .[٢٠]

والحقيقة أن الفرق بين المفردتين تطرّق إليه الدكتور فاضل السامرائي في معرض تفسيرهِ لآيات أخرى عندما طرح سؤالاً : لِمَ اختار كلمة (الرب) ههنا ولم يختر اسماً أو وصفاً كما فعل في مواطن أخرى من الكتاب العزيز؟[٢١]

فأجاب بأن كل اختيار يناسب السورة التي ورد فيها ، فالرب معناه المالك والمربي والسيد والقيّم والمعلم والمرشد ، ثم ان المربي يحفظ من هو في رعايته ويرعاهُ ويدفع عنه السوء ويحميه من الشرور ، واضافة الرب إلى ضمير الخطاب فيه من التكريم ما لا يخفى [٢٢] .

إذاً فإن ما توصلوا اليه من القول : إن الموضع في كل من الآيتين هو الذي أوجب هذا الإختيار ، وللوصول إلى هذه الحقيقة ، كان لِزاماً علينا أن نعي أن لفظة (الموضع) التي ذكروها هو السياقُ بعينه ، وللوصول إلى حقيقة كون السياق هو المسؤول عن حقيقة هذا الإختيار كان لابُدّ من عقد موازنة لغوية لمعرفة الفروق اللغوية الدقيقة بين اللفظتين المبدلتين والتي أوجبت تخْيير احداهما على الاخرى ضمن نص يكاد يكون متناظراً بين الآيتين وكيفية التناسب لكل واحدة منهما مع مفردات الآية التي حلّت بها ، وهذا يعني التفصيل اللغوي للمفردات المختلفة بين الآيتين المتشابهتين أو ماتسمى الآية المكررة ، وهذه المفردات هي (الله) و (الرب) .

(الله) والأصل في الله : الإلاه فألقيت حركة الهمزة على لام المعرفة ثم سكنت وأدغمت في اللام الثانية ثم فُخّمتْ إذ لم يكن قبلها كسرة ورققت إذ كانت قبلها كسرة ومنهم من يرققها في كل حال . فالتفخيم في هذا الإسم من خواصه .وقال أبو علي :همزة الإه حذفت حذفا من غير إلقاء وهمزة إلاه أصل وهو من أله يأله إذا عبد .فالإله مصدر في موضع المفعول أي المألوه وهو المعبود .قيل أصل الهمزة واو لأنه من الوله ، فالإله تتوله إليه القلوب أي تتحيّر وقيل أصله لاه على فعل وأصل الألف ياء لأنهم قالوا في مقلوبه لهى أبوك ثم أدخلت عليه الألف واللام [٢٣] .

والإله في الأصل : لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من أله ألهة وألوهية ، بمعنى عبد ، وقيل إن أصله من ألهت إلى فلان : أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته [٢٤] .

والتأله : التنسك والتعبد والتأليه : التعبيد[٢٥] .

أما (الرّب) فهو اسم من اسماء الله تعالى ، فهو رب كل شيء : أي : مالكه وله الربوبية على جميع الخلق لاشريك له وهو ربُ الأربابِ ومالكُ الملوكِ والأملاكِ ، وربّ مشدد ورب مخفف [٢٦].

والربُّ في اللغةِ يطلق على الملك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم والمرشد ، وربّ كل شيء : مالكُهُ ومستحقُهُ ، وكل من ملك شيئاً فهو ربُه ، والربُ في الأصلِ : مصدر بمعنى التربّية : وهي تبليغ الشيءِ كما له شيئاً فشيئاً ثم سُمّي بهِ المالكُ لأنّهُ يحفظ مايملكه ويربيه ، ورَبَّ ولدَهُ بمعنى رباه ، ويقال : الرب بالألف واللام أو الأضافة لغير الله تعالى[٢٧]

إذاً وفي ضوءِ عرض دلالة كل لفظة منهما يتضح جلياً أنّ في لفظة (الله) من العموم في الدلالة مالا نجده في لفظة (الرّب) فعلى الرغم من التشابه بينهما ، إلا أن الله هو الربُّ دائماً وليس الربُّ هو الله دائماً ، وإن قول العلماءِ : إذا ذكرا جميعاً صار الإلهُ لهُ معنى فيما أخذ الربُّ لهُ معنى آخر[٢٨] بحاجةٍ إلى دقةٍ أعلى في التعبير والأجدر بالقول هو: إذا ذكرا جميعاً لَزِمَ الإلهُ معناهُ فيما قد يأخذُ الربُّ لهُ معنى آخر ، لأنهُ كما بيّنتُ إنّ الإلهَ لايُطلق إلا على الله المعبود سبحانهُ وتعالى أما الربُّ فيجوز اطلاقها على غيرِهِ تعالى وفي قوله تعالى من سورة يوسف : (قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) من الاية ٥٠ ما يؤكد ذلك ، فالمتكلمُ في هذه الآية نبيٌ مرسلٌ من الله وهو أعلم الناس بما ينطق وكيف ينطق .

فعندما أراد أن يكلّمَ الذي معهُ في السجن وهو أعلم بعقيدتهِ قال لهُ : (ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ) فقصد بها مالكك وسيدك لأنّها كما أوضحتُ لفظةً تدل على التخصيص ،فخاطبهُ بما يفهم ويتلائم وعقيدته التي فُطر عليها ، فيما تلاها متكلم عن نفسه بقوله : (إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) قاصداً بها الله ليتلائم وعقيدته التي آمن بها كونهُ نبياً مرسلا وأنّ ربَّه الله (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) من الآية ٢٣ من سورة يوسُف لكنَهُ لم يقل إلهي ، فقال ربي لما في لفظة الربّ من الخصوصية ، وما في لفظة الله من العمومية في الدلالة كما أوْضَحتُ ، فضلاً عن ذلك فإنه لم ترد لفظة إلهي في القرآن الكريم مطلقاً ، فيما ذكرت لفظة ربي في أكثر من ثمانين موضعاً من القرآن الكريم ، أضف إلى ذلك أنّ لفظة الربّ وردت مجموعةً على لسان الأنبياءِ في القرآن الكريم من ذلك قولهُ تعالى على لسان سيدنا يُوسُف

عليه وعلى نبينا محمد افضل الصلاة واتمُّ التسليم (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) سورة يوسف الآية ٣٩ ، أما الإله فلم يُذكر بصيغة الجمع في القرآن الكريم إلا على سبيل السخرية من مثلِ قوله تعالى : (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ)الصافات ٩١ أو أنّهُ ورد على لسان المشركين من ذلك قوله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) الأنبياء٦٨ ، أما ماذُكر في قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) الأنبياء٢٢ ، ففي قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) ماينفي جمع الإله ، وإنّه لا إله معبود الإ الله

وهذا يعني أنّ هناك فرقاً في المعنى ، كما أن هناك تشابهاً بينهما ، وهذا مايحددهُ السياق فإذا ذكرا جميعا لَزِمَ الإله معناهُ فيما قد يأخذ الربّ له معنى آخر كما في سورة الناس (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ(٣)) أما إذا ذكر واحد منهما دخل الآخر فيه ، أي إذا اجتمعا في المكان إفترقا في المعنى ، والعكس إذا إفترقا في المكان فقد يجتمعان في المعنى ، وهذا التفصيل يتفق وماجاء به المفسرون من قول : (أنّ لكل موضع معنى يوجب اختصاص اللفظ الذي ذكر فيه) (والله أعلم) .

وبالرجوع إلى سورتي البقرة والأنعام نجد ذلك جليا واضحا ، ففي قوله تعالى من سورة البقرة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ١٧٢، وقوله : (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ)١٧٣ دلالة على أن الخطاب موجه لعامة المؤمنين فكان الأليق والأجود أن يختتمها بلفظ الجلالة (الله) لما لتلك اللفظة من العموم كما أوضحتُ مسبقاً ، ويتناسب مع جانب العبادة الذي حثَّ الله به جميع المؤمنين وهذا ماحدث بالفعل بقوله تعالى : (إن الله غفور رحيم) البقرة من الاية ١٧٣ ، فيما ختم الآية المناظرة لها من سورة الأنعام بقوله : (فإن ربك غفور رحيم) الأنعام من الاية ١٤٥ ، لأن الاية ابتدأت بقوله تعالى : (قل) وهذا دليل على أن الحديث موجه ومختص من الله تعالى إلى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما كان الحديث مختصا به صلى الله عليه وسلم وهو على علم بأن الله تعالى هو المربي والمرشد والموجه له في كل أفعاله وعباداته استعمل النص القرآني لفظة (ربك) لما لهذه اللفظة من الخصوصية ليطمئنه بأنه يرعاه ولايمكن أن يتركه ، وهذا ماناراه جلياً في أغلب إن لم تكن في جميع آيات القرآن الكريم التي تدل على الرعاية الإلهية لحبيبه ورسوله المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه بقوله : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) الضحى ٣ وقوله تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) النمل من الاية ٩٣ وغيرها من الآيات التي تدل على الرعاية الإلهية (والله تعالى أعلم) .

(مشتبه) و (متشابه) والعكس

قوله تعالى : (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) من قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ

أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الأنعام ٩٩

وقوله تعالى : (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) من قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) الأنعام ١٤١

كان قتادة يقول في معنى مشتبها وغير متشابه ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال مشتبها ورقه مختلفا ثمره وجائز أن يكون مرادا به مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم ومعنى الكلام وشجر الزيتون والرمان فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره كما قيل واسأل القرية فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها لمعرفة المخاطبين [٢٩]

فيما ذكرالكرماني ذلك قائلاً : ((قوله (مشتبها وغير متشابه) آية ٩٩ وفي الآية الأخرى (متشابها وغير متشابه)آية ١٤١ لأن أكثر ما جاء في القرآن من هاتين الكلمتين جاء بلفظ التشابه نحو قوله تعالى - في سورة البقرة - (وأتوا به متشابها) آية ٢٥ (إن البقر تشابه علينا) آية ٧٠ (تشابهت قلوبهم) آية ١١٨(وأخر متشابهات) آية ٧ آل عمران .

فجاء قوله : مشتبها وغير متشابه في الآية الأولى و متشابها وغير متشابه في الآية الأخرى على تلك القاعدة ثم كان لقوله : تشابه معنيان أحدهما التبس والثاني تساوى وما في البقرة معناه التبس فحسب فبين بقوله : متشابها ومعناه ملتبسا لأن ما بعده من باب التساوي والله أعلم))[٣٠]

أما الزمخشري (ت٥٣٨هـ) فقد أشار لذلك بالقول : ((مشتبها وغير متشابه ، يقال : إشتبه الشيئان وتشابها إذا استويا والإفتعال والتفاعل يشتركان كثيراً ، وقُرِيء : متشابها وغير متشابهٍ))[٣١]

وهذا ماكرره النسفي (ت ٧١٠هـ) في تفسيره [٣٢]، فيما كرر الفيروزآبادي في كتابه البصائر[٣٣] رأي الشيخ الكرماني ، وذكر في قاموسه ((تشابه واشتبها : أشبه كلٍ منهما الآخر حتى التبسا ..... وأمور مشتبهة ومشبهة كمعظمة : مُشكلة))[٣٤] ، وذكرالسيوطي إلى ((إن لفظ أشتبه وتشابه بمعنى واحد))[٣٥]

والرأيُ نفسهُ لإبنِ عاشور(ت١٣٩٣هـ)[٣٦] .

والحقيقةُ أنّهم انطلقوا في ذلك كلُهُ من قولِ سيبويه(ت١٨٠هـ) : (وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريدُ فَعْلَ اثنين فصاعداً ، ولايجوز أن يكون مُعَملا في مفعول ولايتعدى الفعل إلى منصوب ففي تفاعلنا يلفظ بالمعنى الذي كان في فاعلته وذلك قولك تَضارَبْنا وترامَيْنا وتقاتَلْنا وقد يشركه افتعلْنَا فتريد بهما معنى واحداً وذلك قولهم : تضارَبُوا واضطرَبوا ، وتقاتلوا واقتتلوا ، وتجاوَروا واجتورُوا ، وتلاقوا والتقوا) [٣٧].

أما الدكتور فاضل السامرائي فقد فرّق بين اللفظتين ، مؤكداً إنّ الفعل (اشتبه) أكثر مايفيد الإلتباس والإشكال ، وإن (تشابه) أكثر مايفيد معنى التشابه بين الشيئين أو الأشياء والمشاركة بينهما في معنى من المعاني ، سواء أدى ذلك إلى الإلتباس أم لم يؤدِ ..... فكان كل تعبير أنسب في سياقه الذي ورد فيه [٣٨]

إذاً فإن أغلب الفسرين اتفقوا بالقول إلى الإستواء بين المعنيين ، فيما أكد الدكتور السامرائي ماذكره الفيروزآبادي في قاموسه من وجود الفرق بين دلالة كلٍ منهما ، مؤكدا أن كل تعبيرٍ كان الأنسب في سياقه الذي ورد فيه .

وللوصول إلى هذه الحقيقة (كل تعبير أنسب في سياقه الذي ورد فيه) كان لزاماً علينا كوننا دارسين ومتأملين في هذا الكتاب الذي لاتنقضي عجائبهُ عقد موازنة لغوية لتلك المفردتين (اشتبه) و (تشابه) وعلى النحو الآتي :

(تشابه) : المتشابه ، الشَّبهُ ، والشَّبَهُ ، والشَّبيه : المِثْلُ والجمعُ أشباهٌ ، وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثَلَهُ ، وفي المثل ، من أَشبَه أباهُ فما ظلم ، والتشبيهُ : التمثيلُ ، والمتشابهات : المتماثلات [٣٩] .

أما (الإشتباه) : فهو الاختلاط ، واشتبه الأمرُ إذا اختلط ، واشتبه عليَّ الشيءُ والتبس ، والشبْهةُ : الإلتباس [٤٠] وأشكَلَ الأمرُ : إلتبس ، وأمورٌ اشكالٌ : مَلْتَبِسةٌ[٤١] ، وأشكل الأمرُ إذا اشتبه ، والقوم أشكالٌ : أي أشباهٌ[٤٢] والمشتبهات من الأمورِ : المُشكلاتُ ، وتقولُ شَبَّهْتَ عليَّ يافلان : إذا خلَّطَ عليك [٤٣] .

إذاً فالفرقُ بين اللفظتين من الناحية اللغوية يتمثلُ في التماثُلِ والاختلاطِ ، ولكن هذا التمايز اللغوي لايمنع من تلبسِ أحدهما بالآخر دلالياً بناءً على الضابط السياقي كما روي عن ابن عباس عن ابنِ الاعرابي إذ قال : ((وسألته عن قوله تعالى وآتوا به متشابها ، فقال : ليس من الاشتباه المشكل ، إنما هو من التشابه الذي بمعنى الاستواء))[٤٤]

وهذا القول (ليس من الاشتباه المشكل) يقودنا إلى حقيقة مفادها (والله أعلم) إن في شدّة التشابه بين الأشياء أحياناً ما يصل إلى حد الإشتباه والخلط والإلتباس ، وهذا يعني إنّ في الإشتباه من الشبه ماهو أعلى منهُ في التشابه وإنّ في قولِ قُتادة (مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمرُهُ) مايفتح الباب امامنا للتنعم فيما جاء من اختيارٍبين تلك المفردتين اللتين وردتا في سورة الأنعام إذ نجد إن ما جاء في الآية التاسعةِ والتسعين (وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) فالزيتون والرمان معطوفان على جنات وبهذا فإن الحديث عن الإشتباه والتشابه خصّ فيه _ الزيتون والرمان _ دون غيرهما من الزروع ، ومسألة الإلتباس بين هاتين الشجرتين تكاد تكون ملموسةً للناظرين ومما لاينكره احدٌ لما بين هاتين الشجرتين من التشابه بين الأغصان والفروع والأوراق مايصل بالناظر حد الخلط بينهما ، حتى إذا اختلط عليه الأمرُ ميّز بينهما عن طريق الاختلاف بين شكل الثمرة لكلٍ منهما لذلك تلاها بقوله تعالى : (انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) لأن الشيء الوحيد الذي يميز بينهما ، هو النظر الى ثمارهما لأن ثمرة الزيتون تختلف اختلافا كلياً عنه في الرمان .

أما في الآية الحادية والاربعين بعد المئة من السورة نفسها (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) فقد جاءت الآية شاملةً لكل أنواع الزرع مضافا اليه النخل والزيتون والرمان ، والتمييز بين مختلف اشجار الزروع أمراً واضحاً للناظر لايصل به إلى حدّ الخلط ما أدى بالسياق العدول عن لفظة (مشتبهاً) إلى (متشابهاً) ليكون (متشابهاً وغير متشابه) لأن مافي الشبه من التشابه مالايصل حدّ الخلط كما أوضحنا (والله تعالى أعلم) .

(ساحر) و (سحّار) والعكس

قوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) الأعراف ١١١_١١٢ وقوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) الشعراء ٣٦_٣٧ ، تناول أهل التفسير ومن كَتَبَ في أسرار التكرار في القران الكريم ذلك الإختيار بين (ساحر) و (سحّار) وجاءوا بأقوالٍ .

أذكرُ منها ما قاله الكرماني : ((لأنه راعى ما قبله في هذه السورة وهو قوله : (إن هذا لساحر عليم) وراعى في الشعراء الإمام فإنه فيه (بكل سحّار) بالألف وقرئ في هذه السورة {سحار} أيضا طلبا للمبالغة وموافقة لما في الشعراء)) [٤٥] .

وقال الزمخشري : ((وعارضوا قوله : إن هذا لساحر ، بقولهم : بكل سحار ، فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ، ليطمئنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه ، وقرأ الأعمش: بكل ساحر))[٤٦] .

فيما ذكر الرازي (ت٦٠٦هـ) في معرض تفسيره لسورة الأعراف بالقول : ((قرأ حمزة والكسائي بكل سحار ، والباقون بكل ساحر ، فمن قرأ سحار فحجته أنه قد وصف بعليم ، ووصفه به يدل على تناهيه فيه وحذقه به ، فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة في السحر ، ومن قرأ ساحر فحجته قوله : (وَأُلْقِيَ السحرة) الأعراف : ١٢٠ (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السحرة) الشعراء : ٤٠ والسحرة جمع ساحر مثل كتبه وكاتب وفجرة وفاجر .

واحتجوا أيضاً بقوله : (سَحَرُواْ أَعْيُنَ الناس) الأعراف : ١١٦ واسم الفاعل من سحروا ساحر))[٤٧] ، أما القرطبي فقال : ((قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً « بكل سحار » وقرأ سائر الناس « ساحر » وهما متقاربان؛ إلا أن فعالا أشد مبالغة.))[٤٨] ، فيما كرر الفيروزآبادي قول الكرماني حرفيا[٤٩] ، أما ابن عاشور ، فقد ذكر((إن الصيغتين مترادفتان في الاستعمال ، والسحار مرادف للساحر في الاستعمال ، لأن صيغة فعّال هنا للنسب))[٥٠] .

وقد ردّ الدكتور فاضل السامرائي السبب في ذلك ، إلى المقام الذي تستدعيه كل آية منهما ، وذكر أنه لمّا كانت المحاجّة في سورة الشعراء أشد استخدم فيها الألفاظ التي تلائمها ، ((فقد جاء في الأعراف بصيغة اسم الفاعل (ساحر) ، وجاء في الشعراء بصيغة المبالغة (سحّار) ، وهذه الصيغة في الشعراء تتناسب مع المبالغة في قوة التحدي وشدة المواجهة بين فرعون وموسى ، وتتناسب مع غضب فرعون البليغ واندفاعه للنيل من موسى ، فهم أرادوا سحاراً بليغاً في السحر لا مجرد ساحر ، وهذا يتناسب أيضاً مع مقام التأكيد على السحر ، فإن السحر أكد وكرر في

الشعراء أكثر مما في الأعراف سبع مرات وفي الشعراء عشر مرات ، فأنظر كيف اقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه))[٥١] .

إذاً وبعد الوقوف على أغلب آراء المفسرين ، نجد أنهم يجمعون على القول باتفاق اللفظتين وأنه لافرق بينهما سوى المبالغة ، والمتتبع لطريقة عرض القصة بيّن السورتين يجد أنّهم وُفقوا فيما ذهبوا إليه من القول ، ولكن يبقى السؤال لماذا إذاً أُبدلت إحداهما بالأخرى ضمن النص القرآني الذي يكاد يكون متقاربا أو مكرراً في الآيتين ...؟ وللإجابة عنه كان لابُدّ من النظر والمراجعة لكل المفردات المختلفة بيّن الآيتين ومعرفة دلالتها اللغوية ليتسنى لنا معرفة حيقيقة تخير سحّار على ساحر ضمن النّص الذي يكاد يكون متقارباً وعلى النحو الآتي :

فالساحرُ لغةً : من السحرِ ، وهو عملٌ يُتقربُ فيه إلى الشيطان وبمعونةٍ منهُ ، كل ذلك الأمر كينونة للسحرِ ، ومن السحرِ : الأُخْذَةُ : التي تأخذُ العين حتى يُظنُ أن الأمرَ كما يُرى وليس الأصلُ على مايُرى ، فالسحرُ : الأُخْذَةُ ، وكل ما لطُفَ مأخذُهُ ورقّ فهو سحرٌ ، والجمعُ أسحارٌ ، ورجلٌ ساحرٌ من قومٍ سَحَرةٍ

وسَحَّارٌ : من قومٍ سحَّارين [٥٢]، وسَحّارٌ فعّالٌ أشد مبالغةً من ساحر[٥٣] .

إذاً فالسَحّارُ أشدُ قوةً وكينونةً من ساحر، وهذا ماأجمع عليه المفسرون واللغويون كما ذكرنا آنفا ، فلماذا إذن عدل النص القراني عن ساحر الى سحّارٍ ضمن نصٍ يكاد يكون متقاربا ؟ والحقيقة إن الجواب عن ذلك موجودٌ في السؤالِ نفسه ، ففي قولنا (يكاد يكون متقارباً) مايدل دلالة قطعية على وجود اختلاف بين النصين أوجب هذا التَغَيُرِ بين ساحر وسحّار ، لما يحمله الفعل كاد من معنى يدل على مقاربة الشيء دون حصوله تماماً ، وان هذا الاختلاف يكمن في لفظتين اخريين مختلفتين بين الآيتين المتشابهتين وهما لفظتي (ارسل ، ابعث) ويمكن توضيح الفرق بينهما على النحو الآتي :

أرسل من الإرسال : وهو التوجيه ، وقد أرسل اليهِ والاسم ، الرِّسالة والرَّسالة والرَّسول والرَّسيل ، والأخيرةُ عن ثعلب ، وتراسلَ القومُ : أرسل بعضُهم إلى بعضٍ ، والرسول : المُرّسل وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثهُ[٥٤]، وقولهُ : أرسل بعضهم إلى بعضٍ يقودنا إلى حقيقةِ كون الارسال والرسول هو لعامة الناس ، وهذا مايؤكدهُ قولهُ تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) الأعراف من الآية ١٥٨

أما (ابعث) فهو من البعْث ، وبَعَثَهُ يَبْعَثُهُ بَعْثَاً : أرسلهُ وحدهُ ، وبعث به : أرسله مع غيرهِ ، والقومُ البمعوثون : المُشَخَصُون[٥٥]

إذاً فالبعث هو الارسال ، وهو أشدُ وزيادةً ، فيه قوة وقسوة وعمل ، وقوله : القوم المبعوثون : المشخّصون يوحي لنا أن بين البعثِ والإرسالِ ليس مجرد المبالغة فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى امورٍ مفادها، أن في البعثِ تخصيصاً لانجدهُ في الإرسالِ ، وفي الإرسالِ تعميمٌ لانجدهُ في البعثِ ، فالمبعوثُ غالبا مايكونُ لعليةِ القومِ وأسيادِهم ورؤسائِهم ،

وهذا ماحدث في سورةِ الشعراءِ عندما استعمل لفظة (ابعث) مع (سحّار) لأن السحّار هو رئيس السحرةِ فكان من الطبيعي أن يستعمل اللفظة التي تناسبه وهي ابعث .

والعكسُ مع (إرسل) التي تكون لعامة الناس ، وفي هذه الآية تكون لعامة السحرة ، ولمّا كان التوجيه لكل ساحرٍ في المدينة لان ساحر هو أي ساحر مجرد أنه من قومٍ سحرة فأستوجب الخطاب القرآني أن يلائم بين اللفظتين ، وهكذا فقد اختار لفظة (إرسل) لعامة السحرة لما تحملهُ هذه اللفظة من الإطلاق فيما اختار لفظة (إبعث) ل (سحّار) لما تحمله هذه اللفظة من تخصيصٍ لرؤساءِ السحرةِ ومعلميهم فكان من الطبيعي على النص القرآني الذي انماز(بإئتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلاف اللفظ مع المعنى)[٥٦] اللجوء الى ذلك (والله تعالى أعلم).

(الخاسرون) و (الأخسرون) والعكس

قوله تعالى : (لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) هود ٢٢

وقوله تعالى : (لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) النحل ١٠٩

وقد علل الخطيب الأسكافي ذلك وردّ السبب إلى الموافقة بين الفواصل ، وذكر أن ماقبل هذه الآية في سورة هود (يبصرون ، يفترون) لايعتمدان على ألفٍ بينهما والعكس من ذلك في سورة النحل (الكافرون ، الغافلون) التي زخرت فواصلها بصيغة اسم الفاعل[٥٧] ، وهذا ماذكرهُ الكرماني ، مضيفاً لذلك قوله : ((لأن هؤلاء صدوا عن سبيلِ الله وصدوا غيرهم فهم الأخسرون يضاعف لهم العذاب ، وفي النحل صدّوا فهم الخاسرون))[٥٨] ، ولم يبتعد ابن الزبير (ت٧٠٨هـ) عمن سبقهُ في ذلك عندما ذكر أن الآياتِ في سورة هود مبنياتٌ بصيغة التفضيل (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ) هود من الآية ١٨ .

فناسب (الأخسرون) مع ذلك ولو ورد هنا (الخاسرون) مكان (الأخسرون) لتنافى النظم وتباين السياق ولم يتناسب ، فيما اتفقت الفواصلُ في سورة النحل مع صيغة اسم الفاعل المجموع جمع السلامة ، فتناسب الآي في السياق والفواصل [٥٩] ، وكلامه يتفق مع من سبقه في ذلك ، أما الفيروزآبادي ، فقد اكتفى بما ذكره الكرماني من أن هؤلاء صدوا عن سبيلِ الله وصدوا غيرهم فهم الأخسرون يضاعف لهم العذاب ، وفي النحل صدّوا فهم الخاسرون [٦٠]وهذا ماذهب اليه الدكتور فاضل السامرائي ، مضيفاً لذلك وقد يزيد في خسارتهم وعقوبتهم وعدم فلاحهم فيجعل لعنة الله عليهم ، لأن هؤلاء زادوا على غيرهم في أوصاف السوء ، فاستحقوا بذلك اللعنة ومضاعفة العذاب وكانوا هم الأخسرين[٦١] .

اذاً فالسياق القرآني لكل آية هو من حتّم ذلك الإختيار ، إلا ان أغلب العلماء قد أجمعوا واتفقوا على أن لتناسب الآي والفواصل السبب الأقوى في هذا الإختيار بين الآيتين آخذين بعين الاعتبار الجانب الصوتي الذي تضفيه الفاصلة ، وما لهُ من أثرٍ في المتلقي ، وهذا ما لا يمكن إنكارهُ أو التغافل عنهُ فهو القائلُ جلّ ذكرهُ : (الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود ١ ، ولكن الذي لا يمكن التغافل عنهُ ايضاً هو ماتؤديهِ هذهِ الفاصلة في الجانب

الدلالي ف ((أن مقتضى الإعجاز : أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظُها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه قد نصل إلى تدبره فنهتدي إلى سرّه البياني وقد يغيب عنا فنقرُّ بالقصور عن إدراكه)) [٦٢]

إذاً فإن للفاصلة القرآنية عملاً آخر لايقتصر على الجانب الصوتي والموسيقى الذي تؤديه ، بل يتضمن الدلالة المعنوية التي تحمل تمام الفكرة في الآية القرآنية ، وهذا يستوجب منّا الدراسة اللغوية بين الألفاظ المختلفة في الآيات المتشابهات للوصول الى مايمكن الوصول إليه في بيان إعجاز هذا الكتاب

ف (الخاسرون) جمع خاسِر، من خَسِرَ خَسْراً وخُسْراناً وخَسَارَةً وخَسَاراً فهو خاسِر، والخسارةُ : الضلال والهلاك ، وخسِروا انفسهم وأهليهم يوم القيامة : أهلكوهما[٦٣]

أما (الأخسرون) من أخسر الرجل : إذا وافق خُسْراً في تجارتهِ ، وقوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) الكهف ١٠٣: قال الأخفش : واحدهم الأخسر مثل الأكبر ، والأخسر في اللغةِ أقوى وأشدُ منهُ الخسران[٦٤]

وقوله : (وافق خسراً) من الوِفاق والمُوافقة والتوافق : أي الإتفاق والاجتماع[٦٥] ، مايعني : أن الأخسرين هم الذين خسروا من بعد خسارة من بعد أُخرى فاجتمعت عليهم الخسارات وتوافقت واحدة تلو الاخرى حتى أصبحوا أخسرين ، وهذا يفتح الباب لنا للتنعم والتأمل في ألفاظ النصوص الواردة بين الآيتين المتشابهتين ، ففي الآيتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين من سورة هود نجد مايمكن أن نسميه أو نطلق عليه إن صحّ التعبير (تدرج الدلالة التعبيرية للنصوص القرآنية المتتابعة ضمن السورة الواحدة) إذ نجد أن النص القرآني اختار في الآية الثانية والعشرين وهي الآية موضع الشاهد اختار لفظة (الأخسرين) لأنه وصفهم في الآية السابقة لها مباشرةً وهي الآية الحادية والعشرون من السورة نفسها ب (الخاسرين) في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ) ، وفي قوله : (خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ) دلالة على انهم خاسرون لأنهم خسروا أنفسهم فحسب ، فلما أراد السياق القرآني أن يتدرج في دلالة التعبير إلى ماهو أشد من كونهم خاسرين تبعها مباشرة بالآية التالية لها فوصفهم بالأخسرين فكأنه قال في وصفهم ضمن الآيتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين (الخاسرون الأخسرون) ضمن ماأسميناهُ (تدرج الدلالة التعبيرية للنصوص القرآنية المتتابعة ضمن السورة الواحدة) للدلالة على شدة ماأصاب هؤلاء لأنّهم صدوا عن سبيلِ الله وصدوا غيرهم فهم الأخسرون فتفادى بذلك النقص في المعنى المراد إيصاله ، وهو كونهم أكثر من خاسرين فهم أخسرون ، فيما وصفهم (الخاسرون) في الآية التاسعة بعد المئة من سورة النحل ، لأنه لم يصفهم قبل ذلك بالخسران فاستدعى وصفهم بالخسارة للوهلة الأولى أن يصفهم بالخاسرين .

وقد يسأل سائلٌ _ فلماذا أطلق عليهم (الأخسرين) دون سابقة لمعنى الخسران في سورة الكهف (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) ١٠٣ .....؟ .

فالجواب إن ما ذكرناه آنفا لايمنع من وصفهم بالأخسرين من الوهلة الأولى ولكن بحسب مايتطلبه السياق ومايبتغيه القائل وهذا ماحدث فعلاً في سورة الكهف (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا) ١٠٣ إذ انه ابتدأ بالأخسرين لأنه أراد التعريف بالأخسرين لا الخاسرين ، وهذا ماحدث في الآيات اللاحقات للآية المذكورة من سورة الكهف ، ومثل ذلك ورد في سورة الانبياء من قوله تعالى : (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ) الآية ٧٠ ، لأنهم بالفعل كانوا كما وصفهم الله تعالى أخسرين لا خاسرين (والله تعالى أعلم) .

المبحث الثاني

التَخَيُّرُ بيْنَ الأفعال

(أتى) و (جاء) والعكس

قوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ) من قوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى) طه ١١

وقوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ) من قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) النمل ٨

وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ) من قوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) القصص ٣٠

فرّق الراغب الاصفهاني بين الإتيان والمجيء بقوله : ((الإتيان مجيءٌ بسهولة ، ومنهُ قيل للسيل المَار على وجهه أتى))[٦٦] وقال أيضاً : ((المجيءُ كالإتيان ، لكن المجيء أعمّ))[٦٧] ، فيما تطرق ا لكرماني لذلك قائلاً : ((لأن أتى وجاء بمعنى واحد ، لكن كثر دور الإتيان في طه نحو : فأتياه ، فلنأتينك ، ثم أتى ، ثم ائتوا ، حيث أتى ، ولفظ " جاء " في النمل أكثر ، نحو : فلما جاءتهم ، وجئتك ، فلما جاء سليمان ، وألحق القصص بـ " طه " لقرب ما بينهما))[٦٨] ، وهذا ما ذكره الفيروزآبادي حرفياً [٦٩] ، فيما توصّل استاذنا الدكتور فاضل السامرائي بعد وقفة طويلة على جميع مفردات الآيتين وتحليلها تحليلاً دقيقاً إلى القول : بأن أهل المعجمات لم يذكروا ماذكره الراغب الاصفهاني ، وإنما كانوا يفسرون واحداً بالآخر ، فيفسرون جاء بأتى ، وأتى بجاء ، غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات أتى مايدل على السهولة ، ثمّ اكدّ أن القران يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقّة أو لما هو أصعب وأشق ممايستعمل لهُ (أتى) ، وأن للسياق الأثر في اختيار الألفاظ ، فالمهمة التي في سورة النمل أشق وأصعب منها في القصص فجاء بالفعل (جاء) دون أتى الذي هو أخف[٧٠] .

وقبل الدخول في تحليل النصوص لابُدّ لنا من وقفةٍ لغويةٍ لمعاني المفردات المختلفة بين الآيتين والتي تكمن في اللفظتين (جاء ، أتى)

جاء _ جَيْئاً و مَجيئاً : بمعنى الإتيان ، وجاءَ يجيءُ جَيْئةً ، وهو من بناء المرة الواحدة ، وتقول الحمد لله الذي جاء بك ، أي الحمد لله إذْ جِئْتَ ، وأجاءَهُ إلى الشيءِ : جاء بهِ وألجاءهُ [٧١]

أتى _ قربُ ودنى ، وأتى عليهِ كذا : مَرّ بهِ ، وأتى اليهِ الشيءُ : ساقهُ ، وقولهُ عزّ وجلّ : (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) النحل من الآية١ ، أي قُرُبَ ودنا إتيانه ، ويُقال : أُتي فلان : إذا أطلّ عليهِ العدوّ [٧٢].

ومما بيّنّاهُ ، يمكن القول (والله أعلم) ، إن هناك حقيقةً مفادها : أنّ الغالب في دلالة المجيء ، هو الوصول إلى الشيءِ ، والغالب في دلالة الإتيانُ ، هو التوجه إلى الشيءِ بغض النظر عن الوصول إليه من عدمه ، وأن في قوله تعالى : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) ق من الآية٩ خيرُ دليلٍ على ذلك ، إذ انتهى المجيءُ بالسكرةِ إلى الموت : أي وصلَ وتمّ ، ومثله قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) الأنعام من الآية٦١ ، فالملائكةُ لا تتوفاهم إلا بمجيء الموت ، ويتوضح المعنى جلياً في أنّ المجيء لايحتمل التأخير في قوله تعالى : (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) الأعراف من الآية ٣٤

أما الإتيان ، فهو التوجه إلى الشيء بغض النظر عن الوصول أو عدمه ، وفي قوله تعالى : (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) النمل من الآية ١ ، أي : أنّه قادمٌ لامحالة بَيد أنّه يحتاج إلى وقتٍ ، فنجد أنّه استعمل الإتيان مع عدم الاستعجال ، فيما استعمل في مكان آخر مع الإتيان فعلًا من أفعال المقاربة في قوله تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) طه من الآية ١٥، فالفعل (كاد) يدل على قُرب حدوث الفعل لكنه لم يحدث بعد ، وخيرِ مايفرق بين المعنيين ، ماورد في قوله تعالى من سورة الأعراف (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) ١٢٩ ، إذ استعمل ظرف الزمان (قبل) مع الإتيان لعدم حدوث الفعل بعد ، فيما استعمل ظرف الزمان (بعد) مع المجيء لانه تمّ بالفعل ، بيَدَ أنّ ذلك لايمنع من اشتراك اللفظتين (أتى وجاء) في الدلالة ولكن بحسب مايقتضيه السياق ، فقد أحصى الدكتور تمّام حسان ورود الفعل (أتى) بمعنى (المجيء) في سبعةٍ وسبعينَ موضعاً من القرآن الكريم .

لابل إنهُ أحصى للإتيان معنى المداهمة التي هي أشد سرعة من المجيء في ثمانية عشر موضعاً من القرآن الكريم [٧٣] وهذا كلُّهُ يتحكم فيه الموقفُ والسياقُ لكن كما ذكرتُ فالغالب في دلالة المجيء ، هو الوصول إلى الشيءِ ، والغالب في دلالة الإتيانُ ، هو التوجه إلى الشيءِ بغض النظر عن الوصول إليه من عدمه (والله تعالى أعلم).

ولو قمنا بتطبيق ماذكرناه على نصوص الآيات الواردة قيد الدراسة لوجدنا أن النص القرآني استعمل في سورة طه مع لفظة (أتاها) ياء النداء مباشرةً (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى) مايدل على وجود مسافة للوصول تكاد تكون قريبة .

وكذلك الحال في سورة القصص (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى) إذ استعمل ياء النداء مضافاً اليها قوله : (مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) وهو كما ذكره الطبري شق الوادي عن يمين موسى عند الطور[٧٤] ، وهو مكان يكاد يكون قريبا ، فيما أخّرمع المجيء استعمال ياء النداء إلى الآيات اللاحقات من سورة النمل ذاكرا ماكان من خطابٍ مباشرةً (نودي أن بورك) إلى اخر السورة من قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، مايدل على

قرب المسافة و تمام الأمر وحصوله ، لأن المجيء هو الوصول ، والإتيان ، هو التوجه بغض النظر عن الوصول أو عدمه كما أثْبَتُ ، وفي قوله تعالى في الآية العاشرة من سورة النمل (وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) من الخطاب المباشر بقوله : (وألق) بخلاف ماكان في سابقتيها من الآيات المناظرة من السور الاخرى بقوله : (وأن ألق) بوجود أن التفسيرية مايدل على قرب المسافة بينهما ، حتى انتهت الآية بقوله : (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) بقوله : (لَدَيَّ) لتدل دلالة قاطعة على قُربِ المسافة بينهما ، وأنه كان عليه السلام بحضرته جلّ جلاله . (والله تعالى أعلم) .

(ارسل) و (ابعث) والعكس

قوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) الأعراف ١١١

وقوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) الشعراء ٣٦

قال الكرماني : ((قوله في الأعراف وأرسل ١١١ وفي الشعراء وابعث ٣٦ لأن الإرسال يفيد معنى البعث ويتضمن نوعا من العلو لأنه يكون من فوق فخصت هذه السورة به لما التبس ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره))[٧٥] .

أما ابن الزبير فقد ذكر: ((أنّ أرسل أخص في باب الإرسال من البعث ، إذ لايقال أرسل إلا فيما كان توجيهاً فيه معنى الإنتقال حقيقةً أو مجازاً ، أما بعث فأوسع ، فإنه يقع بمعنى الإرسال ، وبمعنى الإحياء ومنه البعث الأخروي ففيه اشترك فلما كان الإرسال أخص وقع الإخبار بهِ أولاً ، ثم وقع ثانياً بالبعث تنويعاً للعبارة وعلى الترتيب في موضع اللفظ المطرد من القرآن ، ولايمكن على ماتقرر من ذلك العكس))[٧٦] ، فيما قال ا لنيسابوري (ت٧٢٨هـ) : ((وأما قوله هاهنا ،، وأرسل في المدائن ، وهناك ، وابعث ، فلأن الإرسال يفيد معنى البعث مع العلو فخصّ هذه السورة بذلك ، ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيرهِ))[٧٧] وقد كرر الفيروزآبادي ماذكرهُ الكرماني بالنص [٧٨] .

ولو رجعنا إلى ماأجمعوا عليه لوجدنا أنهم يتفقون في أن كلاً من البعث والإرسال يتضمن أحدهما الآخر في المعنى ، إلا أن في البعث من الخصوصية والعلو مالاتجدهُ في الإرسال ، وقد تناول الدكتور فاضل السامرائي ذلك ، وردّ السبب إلى امور منها : انه ورد الفعل ارسل في الأعراف لكثرة تردد فعل الإرسال في الأعراف ، فقد تردد الفعل أرسل ومشتقاته ثلاثين مرةً في الأعراف ، وتردد سبع عشرة مرة في الشعراء ، فناسب ذلك ذكر الإرسال في الأعراف دون الشعراء ، هذا من ناحية ومن ناحيةٍ اخرى ، فإن المقام في الشعراء يقتضي ذكر (إبعث) دون (ارسل) ، ذلك ان البعث فيه معنى الإرسال وزيادة .

فإن فيه معنى الإثارة والإنهاض والتهييج ، فلما كان المقام في الشعراء مقام زيادة تحد وقوة مواجهة لم يكتفوا بالإرسال ، لأن هذا المعنى لايؤديه لفظ (أرسل) فاقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه [٧٩].

ولو دققنا النظر لما ذكِرَ من أقوال لوجدنا أنّهم يجمعون على أنّ في الإرسال شيئاً من الخصوصية والعلو لانجدهُ في البعث ، وللتوصل إلى هذه الحقيقة لابُد من عقد موازنة لغوية تبين ذلك للوصول إلى مايمكن الوصول إليه عن حقيقة سبب التَخَيُر بين المفردتين في الآيتين المتشابهتين أو الآية المكررة ، وعلى النحو الآتي :

أرسل من الإرسال : وهو التوجيه ، وقد أرسل اليهِ والاسم ، الرِّسالة والرَّسالة والرَّسول والرَّسيل ، والأخيرةُ عن ثعلب ، وتراسلَ القومُ : أرسل بعضُهم إلى بعضٍ ، والرسول : المُرّسل وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثهُ[٨٠]،

وقولهُ : أرسل بعضهم إلى بعضٍ يقودنا إلى حقيقةِ كون الارسال والرسول هو لعامة الناس ، وهذا ما يؤكدهُ قولهُ تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) الأعراف من الآية ١٥٨ .

أما (ابعث) فهو من البعْث ، وبَعَثَهُ يَبْعَثُهُ بَعْثاً : أرسلهُ وحدهُ ، وبعث به : أرسله مع غيرهِ ، والقومُ البمعوثون : المُشَخَصُون[٨١]

إذاً فالبعث هو الارسال وهو أشدُ وزيادةً ، فيه قوة وقسوة وعمل ، وقوله : القوم المبعوثون : المشَخَّصُون يوحي لنا أن بين البعثِ والإرسالِ ليس مجرد المبالغة فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى امورٍ مفادها، أن في البعثِ تخصيصاً لانجدهُ في الإرسالِ ، وفي الإرسالِ تعميمٌ لانجدهُ في البعثِ ، فالمبعوثُ غالبا مايكونُ لعليةِ القومِ وأسيادِهم ورؤسائهم .

وهذا ما حدث في سورةِ الشعراءِ عندما اختار لفظة (ابعث) مع (سحّار) لأن السحّار هو رئيس السحرةِ فكان من الطبيعي ان يختار اللفظة التي تناسبه وهي ابعث من قوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) الشعراء ٣٦_٣٧

والعكسُ مع (إرسل) التي تكون لعامة الناس، فقال : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) الاعراف ١١١_١١٢، وفي هذه الآية تكون لعامة السحرة ، ولمّا كان التوجيه لكل ساحرٍ في المدينة لان ساحر هو أي ساحر مجرد أنه من قومٍ سحرة فأستوجب الخطاب القرآني أن يلائم بين اللفظتين ، وهكذا فقد اختار لفظة (إرسل) لعامة السحرة لما تحملهُ هذه اللفظة من الأطلاق فيما اختار لفظة (إبعث) ل (سحّار) لما تحمله هذه اللفظة من تخصيصٍ لرؤساءِ السحرةِ ومعلميهم (والله تعالى أعلم)

(أدخل) و (أسلك) والعكس

قوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) النمل من الآية ١٢

وقوله تعالى : (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) القصص من الآية ٣٢

ذكرأكثر المفسرين ، ومنهم ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) إلى ان معنى ((أسلك يدك في جيبك : أي أدخل يدك ، يقال : سلكت يدي واسلكتها))[٨٢]

فيما قال الكرماني : ((قوله وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ١٢ وفي القصص اسلك يدك ٣٢ خصت هذه السورة بأدخل لأنه أبلغ من قوله اسلك لأن اسلك يأتي لازما ومتعديا وأدخل متعد لا غير ولأن في هذه السورة تسع آيات ١٢ أي مع تسع آيات مرسلا إلى فرعون))[٨٣] وقد كرر الفيروزآبادي ماذكره الكرماني بالنص[٨٤] .

وقد علّل الدكتور فاضل السامرائي ذلك ، ان النص القرآني استعمل في سورة القصص أمر الفعل (أسلك) وذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص ، بخلاف ما ورد في النمل الذي لم يذكر فيه حتى سيرُهُ بأهلهِ بعد قضاءِ الأجل .

بل انه طوى كل ذكرٍ للسيرِ والسلوكِ في القصة ، فحسُنَ ذكر السلوك في القصص دون النمل ..... ثم أضاف ناحية أخرى ، وهو أن الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات في النمل ، في حين لم يرد هذا الفعل ولاشيء من مشتقاته في القصص ، فناسب ذكره في النمل دون القصص ، وأخيراً ذكر إن الإدخال أخص من السّلك أو السلوك ، فإن السّلك قد يكون سهلاً وميسوراً ، فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليُسر ، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب[٨٥] .

وهنا نقول لمّا كان المعنى المتعارف عليه ل(ادخل) واضحاً وجلياً لدى أكثر الناس ، فكان لِزاماً علينا كوننا دارسين أن نزيل الغموض عما هو أكثر عتمةً من الفعل (ادخل) وهو الفعل (أسلك) ليتسنى لنا الوصول إلى مايمكن الوصول إليه من حقيقة سبب التَخَيُّرُ بين هاتين اللفظتين في الآيتين المتشابهتين .

أسلك : سلك ، سلك طريقا وسلك المكان يسلكُهُ سلكاً وسلوكاً ، وسلكت الشيء في الشيءِ فانسلك : أي أدخلته فيه فدخل ، والمصدر منه السلوك . فالسلوك في اللغة مصدر سلك طريقاً وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً[٨٦] ، وقيل : السلوك هو النفاذُ في الشيءِ [٨٧].

وفي الإصطلاح : هو سيرة الإنسان واتجاههُ ومذهبُهُ ، يقال : فلان حسن السلوك أو سيء السلوك : أي حسن السيرة أو سيء السيرة والاتجاه [٨٨].

والسلوك مايصدر عن الفرد من استجاباتٍ مختلفة إزاء أي موقف يواجههُ[٨٩] ، وقيل: بأنه مايصدر عن الأنسان من نشاطٍ ظاهر أو باطن[٩٠] ، وقيل : بأنه وظيفة بيولوجية من الوظائف العنصرية للأنسان تتحقق في تعديل فعل إجمالي أو استجابة تكيفية [٩١].

نخلص من ذلك إلى القول ، إن السلوك هو مايصدر عن الكائن الحي من الأفعال والتصرفات سواء أكان ذهنياً أم حركياً إزاء موقف خارجي ، وان السلوك مصدره القلب ، والدليل على ذلك أنه تعالى لمّا أراد أن يبين حال المشركين واستهزاءهم برسلهم ، بيّن ان هذا الإستهزاء هو سلوك مستقرهُ القلب بقوله : (كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) الحجر ١٢ ، أي أنه ادخلَ الإستهزاء والتكذيب والشرك في قلوب المجرمين[٩٢] ، فالهاء في (نسلكه) تعود على الإستهزاء[٩٣] ، والذي حدد دلالة (أسلك) بالدخول في قوله تعالى : (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ) هي لفظة (تخرج) والدليل اننا لو ادخلناها على نصٍ آخرلاتخذت دلالة جديدة مشتقة من ذلك النص كما لو قلنا أسلك الأمر أي اتبعه أو أسلك الطريق أي سِر فيهِ .

ولمّا كان مثل هكذا دلالة للسلوك ، كان من الطبيعي على النص القرآني الذي انماز (بإتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلاف اللفظ مع المعنى) [٩٤] أن يختار في سورة النمل لفظة (أسلك) لتقابل سلوكاً آخر ورد في الآية نفسها وهو

قوله: (أضمم) من قوله تعالى : (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) فضم اليدين هو سلوك انساني له دلالتة الخاصة وقد لخصها المفسرون بقولهم : ((واضمم إليك جناحك ، يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ، ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه من الرهب من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك))[٩٥] ،مايدل على انه سلوك يدل على الخوف والرهبة وانها ليست مجرد حركة ، وبالرجوع إلى نص الآية كاملاً (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) نجد ان الله سبحانه وتعالى كإنما قال لعبده سيدنا موسى عليه وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام ، إتبع السلوك الآتي ، أدخل يدك ، أضمم يدك .

فلما كان ما كان للضم من دلالات سلوكية كما أشرنا عدل عن لفظة (أدخل) إلى (أسلك) كي يأتلف اللفظ (أسلك) مع اللفظ (أضمم) من حيث كونهما سلوكين ، واللفظ مع المعنى من جانبٍ آخر ضمن الآية نفسها ، فيما اختارالنص القرآني لفظة (أدخل) في سورة النمل من قوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) كي يأتلف اللفظ (أدخل) مع اللفظ (تخرج) من حيث كونهما فعلين متقابلين ، والمعنى مع المعنى مع الفعل الآخر والوحيد ضمن الاية نفسها وهو الفعل (تخرج) والذي ليس فيه من السلوك شيء (والله تعالى أعلم) .

(أنزل) و (ألقي) والعكس

قوله تعالى : (أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا) من قوله تعالى : (أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ) ص ٨

وقوله تعالى : (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا) من قوله تعالى : (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) القمر ٢٥ ، تطرق الكرماني لذلك قائلاً : ((أأنزل عليه الذكر من بيننا ، وفي القمر : أألقي الذكر عليه من بيننا ؛ لأن ما في هذه السورة حكاية عن كفار قريش يجيبون محمدا -صلى الله عليه وسلم - حين قرأ عليهم : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم النحل من الآية٤٤، فقالوا : أأنزل عليه الذكر من بيننا ، ومثله : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الكهف من الآية١، و تبارك الذي نزل الفرقان على عبده-الفرقان من الآية١ ، وهو كثير . وما في القمر حكاية عن قوم صالح ، وكان يأتي الأنبياء يومئذ صحف مكتوبة ، وألواح مسطورة ، كما جاء إبراهيم وموسى ، فلهذا قالوا : أألقي الذكر عليه ، مع أن لفظ الإلقاء يستعمل لما يستعمل له الإنزال)) [٩٦]

إذاً ومن قوله : ((أن لفظ الإلقاء يستعمل لما يستعمل له الإنزال)) فقد ساوى في الاستعمال بين الإلقاء والإنزال ، وهذا ما أكدّهُ الزمخشري بقوله : ((أألقي عليه الذكر من بيننا : أي : أأنزل عليه الوحي من بيننا)) [٩٧]، فيما ذكر ابن عطية أن ((ألقي بمعنى أنزل وكأنه يتضمن عجلةً في الفعل))[٩٨]

وهذا ماأكدهُ الرازي بقوله : (أنّ في الإلقاء سرعة غير موجودة في الإنزال)[٩٩] ، فيما نقل الفيروزآبادي كلام الكرماني نقلاً حرفياً[١٠٠] ، أما الآلوسي فقد ذكر ان الإلقاء يتضمن العجلة في الفعل[١٠١]

أما الدكتور فاضل السامرائي ، فقد ذكر في معرض تفسيره لقوله تعالى : (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) النحل ١٥وقال : (قال (ألقى) دون جعل كما في آيات اخرى ، وذلك لمناسبة وصفه نفسه ب(العزيز) في الآية السابقة ، فإن إلقاء الرواسي من العزة [١٠٢] .

إذاً لابُدّ من وقفةٍ لغويةٍ نبيّن من خلالها الفروق اللغوية الدقيقة بين المفردتين (ألقى) و (أنزل) للوصول إلى حقيقة تَخَيُّر إحداهما على الأخرى ضمن النص القرآني الذي يكاد يكون متقارباً بين الآيتين المتشابهتين أو الآية المكررة ، ولنجعل من قول استاذنا الدكتور فاضل السامرائي (فإن إلقاء الرواسي من العزة) هدفاً لابُدّ من الوصول إليه لما يحملهُ هذا القولُ من العلاقة التي تربط بيّن الإلقاء والعزة والذي يمكن من خلالهِ الوصول إلى شيءٍ من معنى الإلقاء يتناسب والسياق الذي حلّت به تلك اللفظةُ في آياتِ التكرار في القرآن الكريم وعلى النحو الآتي :

انْزِلْ : نَزَلَ : النزول _ الحلول ، وقد نزلهم ، ونزل عليهم ، ونزل بهم : ينزل نزولاً ومَنْزِلاً[١٠٣] ، ونزل : هَبَطَ ، والهبوط نقيض الصعود[١٠٤] ، فالهبوط : النزول إلى الأرض[١٠٥] ، والهبوط إلى المكان : إنما هو النزول إليهِ والحلولُ بهِ[١٠٦] .

إذاً فمعنى النزول هو الهبوط من أعلى إلى أسفل

ألْقِي : أَلْقى الشيء : طَرَحَهُ ، واللّقى : الشيء المُلقى على الأرض ، والجمع إلقاء[١٠٧]

إذاً فالإلقاء هو طرح الشيء ، والدليل قوله تعالى : (قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) الاعراف١١٥ ، وقوله تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) طه٦٥ ، والقصة معروفة كيف انهم رموا حبالهم فسحروا أعين الناس بها .

والحقيقة (والله أعلم) أننا لو قرأنا القرآن الكريم لوجدنا أن لفظة (أنزل) ومشتقاتها ذكرت في أكثر من مئتين وأربعين موضعاً من القرآن الكريم ، وقد غلب عليها الإقتران بكل ماهو خيرٌ ، مثل نزول القران الكريم (وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) الأنعام من الاية ٩٢ ، والكتب السماوية الأخرى (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ) آل عمران من الآية٣ ، والملائكة (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) القدر ٤، والماء (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) البقرة من الآية ٢٢ ، والرزق (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) البقرة من الآية ٥٧ ، فيما نَدَرَ اقترانه مع غير الخير كقولهِ تعالى: (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) البقرة من الآية ٥٩ ، أما لفظة (ألقى) ومشتقاتها فقد ذكرت فيما لا يزيد عن سبعةٍ وخمسين موضعاً من القرآن الكريم غلب عليها عكسُ ماغلب على (نزل) من ذلك قوله

تعالى : (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) المائدة من الآية ٦٤ ، وقوله تعالى : (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) آل عمران من الآية ١٥١ ، ونَدَرَ مجيئها من مثل قوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) طه من الآية٣٩

والسبب في ذلك يعود (والله أعلم) إلى أن الفعل (أنزل) يشيءُ بمكانة للشيءِ المُنَزل لايتضمنها الفعل (ألقي) الذي يشيءُ بعدم الاكتراث والزهد : قال الشاعر[١٠٨] :

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها

ويتضح من البيت أن الإلقاء يشيء بالذي قلت من أنه ثقل يُراد التخلص منهُ ، هذا من جانب ، ومن جانبٍ آخر (والله أعلم) أن في الإنزال شيئاً لاتجدهُ قطّ في الإلقاء ، وهو أن الإنزالُ يكون دائماً من أعلى إلى أسفل ، وقد بيّنت ذلك فيما مضى ، أما الإلقاء فيكون بين الشيئين المتقابلين اللذين قد يكونان متساويين في الإرتفاع أو قد يكون أحدهما أعلى من الآخر بشيءٍ يسير ، وخير مايثبت ذلك ماذكره ابن كثير في تفسيره ((وقال سعيد بن السائب بن يسار عن أبيه قال : سمعت يزيد بن عامر السوائي وكان شهد حنينا مع المشركين ثم أسلم بعد فكنا نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول :كنا نجد في أجوافنا مثل هذا))[١٠٩] إذاً فقد شبه الإلقاء بالرمي الذي غالباً مايكون بين الشيئين المتقابلين كما ذكرت ، كل ذلك يقودنا إلى القول : إن في الإنزال شيئاً أكثر هيبةً واهتماماً منه في الإلقاء .

وربما كان من المعرفة لعرب قريش في اللغة ماجعلهم يستعملون اللفظ (انزل) في قوله تعالى من سورة ص (أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ)

لأنهم كانوا يعظمون الله ويعترفون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكانته ويعترفون بعظمة هذا الكتاب يؤكد كلامنا أن قريشاً قالوا : (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هُذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) الزخرف من الآية ٣١ .

أما ثمود فلم يكونوا أهل عبادة ولم يكونوا معنيين بالله وعبادته وانبيائه ورسله ولم يكن لرسالة نبيهم صالح هيبةٌ في نفوسهم فلذلك اختاروا الفعل (ألقي) الذي يدل على عدم الإكتراث فقالوا : (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا) ويدل على ذلك انهم زادوا على ذلك فقالوا : (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)، وفي قول الدكتور فاضل السامرائي (فإن إلقاء الرواسي من العزة) مايؤيد كلامنا ، فالرواسي التي تحدى اللهُ فيها خلقه مبيناً فيها عظيم صنعه في تسعة مواضع من القرآن الكريم ، اختار النص القرآني معها لفظة (ألقى) التي تدل كما بيّنا على عدم الإكتراث دون غيرها من الألفاظ ليبين مدى دنو شأن المخلوق نسبةً للخالق (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) الزخرف ٨٢ (والله تعالى أعلم).

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله المنزهين من الزلات ، وصحبه أهل التقى والصالحات ، وبعد مسيرة من التدبر والتفكر في كتابه العزيز ، لا بُدّ لكل شيء من نهاية وخاتمة ، تضم أهم النتائج التي توصل اليها العمل وقد لخصتها بنقاط وعلى النحو الآتي :

١_ لايعني التكرار نفاداً للحروف والكلمات فهو القائل جلّ ذكره (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) الكهف ١٠٩ ، إنما هو زيادةٌ في التأكيد والتذكير .

٢_ ليس هناك استبدالٌ للألفاظ بين آيات التكرار في القرآن الكريم ، إنما لكل سياق مفرداته الخاصة به والتي لو استبدلت بغيرها لسقط النظم وأنهار المعنى .

٣_ لكل لفظة من الألفاظ المترادفة معنى عام تشترك فيه مع مرادفاتها ، ومعنى خاص يميزها عن مرادفاتها ، والسياق الذي ترد فيه تلك المفردة هو المسؤول الوحيد القادر على تجلية هذه الدلالة الخاصة وصقلها.

٤_ الهدف من الدراسة هو بيان الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم ، لتكون مفصلةً ومكملةً للدراسات السابقة .

٥_ ليس في القرآن تكرار للآيات ، بل هو تكرار للقصص القرآني ، الغرض منه التفكروالتذكر لقوله تعالى : (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الأعراف من الآية.١٧٦

٦_ إن المفسرين من القدماء والمحدثين تعرضوا للفروق اللغوية قديماً وحديثاً ، فمنهم من أفرد لها مؤلفات خاصة ، ومنهم من ميزها بمصطلحات وتسميات بانت جلية في تفسيراتهم لآي الذكر الحكيم .

٧_ إن مسألة تفسير اللفظة بمعزل عن السورة التي وردت فيها هو أمرٌ مرفوض .

٨_ إن كثيراً من الدراسات السابقة في هذا الشأن لم تتوغل في التفسير اللغوي لتلك المفردات وقد اكتفت بالقول : إنّ للسياق الدور الأكبر لهذا الإختيار .

الهوامش

[١] ينظر: لسان العرب مادة(سوق) ١٠/١٦٦

[٢] ينظر: المعجم الوسيط ١/٤٦٥

[٣] ينظر: معجم مصطلحات الأدب ص ٢٨٨ ، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية ص٨٣

[٤] الظاهرة الدلالية عند علماء العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ص٣٦٧

[٥] ينظر: علم الدلالة ص٣٦-٣٧

[٦] ينظر: دلالة الألفاظ ص٥١-٥٣ ، علم الدلالة ص٣٤

[٧] ينظر: علم اللغة العام ص١٤٤

[٨] ينظر: علم الدلالة ص٣٧ ، ضلال المعنى بيّن الدراسات التراثيّة وعلم اللغة الحديث ص٧١

[٩] ينظر: مفاتيح العلوم ص٨٣

[١٠] ينظر: لسان العرب مادة (أثر) ٤/٥

[١١] ينظر : لسان العرب مادة (خير) ٤/٢٦٤_٢٦٧

[١٢] روح المعاني : ٢٩/٣٣

[١٣] راجع مقدمة الكتاب المذكور .

[١٤] كتاب الأضداد : ص٧

[١٥] البيان والتبيين : ص٢٠

[١٦] فصول في فقه اللغة : ص٣٠٩ _ ٣١٠

[١٧] فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :ص١٣٠

[١٨] درّة التنزيل : ١/٣٢١_٣٢٢

[١٩] البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١/٣٩

[٢٠] ينظر: البصائر: ١/١٥١ ، قطف الأزهارفي كشف الأسرار: ١/٣٩

[٢١] ينظر: لمسات بيانية : ص٣٠

[٢٢] ينظر : لمسات بيانية : ص٣٠ ، على طريق التفسير البياني : ج١/١١٤

[٢٣] تفسير أسماء الله الحسنى : ١/٢٥ ، التبيان في إعراب القرآن : ١/٥ ، وينظر : لسان العرب : مادة (أله) ١٣/٤٧٠

[٢٤] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٣٢_٣٣

[٢٥] ينظر:لسان العرب : مادة(أله) ٤٧٠/١٣

[٢٦] ينظر : مختار الصحاح : مادة(ربب)٩٦/١، وينظر : لسان العرب : مادة(ربب)٣٩٩/١

[٢٧] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٥١/١_٥٢، ، مختار الصحاح : مادة(ربب)٩٦/١ ، لسان العرب : مادة(ربب)٣٩٩/١

[٢٨] كما في لفظتي (الفقير والمسكين) إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، والكلام في ذلك معروف ومشهور ، ينظر : شرح العقيدة الطحاوية : ص٤٩٣

[٢٩] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩٤/٧ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٩/٧ ، تفسير القرآن العظيم : ١٦٠/٢

[٣٠] البرهان في توجيه متشابه القرآن ٧٣/١

[٣١] الكشاف : ٥٢/٢

[٣٢] مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٥٢٥/١

[٣٣] البصائر : ١٩٦_١٩٧

[٣٤] القاموس المحيط : مادة(شبه) ص٢٧٤

[٣٥] قطف الأزهار في كشف الأسرار : ٩١٧/٢

[٣٦] ينظر : التحرير والتنوير ٤٠٢/٧

[٣٧] الكتاب : ٦٩/٤

[٣٨] ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ص٨٠_٨٥

[٣٩] ينظر : لسان العرب :مادة(شبه)٥٠٣/١٣

[٤٠] ينظر : مختار الصحاح : مادة(شبه)١٣٨/١، لسان العرب :مادة(شبه)٥٠٥/١٣

[٤١] ينظر: مختار الصحاح : مادة(شكل)١٤٥/١، لسان العرب :مادة(شكل)٣٥٧/١١

[٤٢] المحكم في نقط المصاحف:٢٢/١

[٤٣] ينظر:لسان العرب : مادة(شبه) ٥٠٣/١٣

[٤٤] المصدر السابق : ٥٠٤/١٣

[٤٥] البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٨٩/١

[٤٦] الكشاف : ٣١١/٣

[٤٧] التفسير الكبير : ٣٣٣/١٤

[٤٨] الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٧/٧

[٤٩] البصائر : ٢١٧/١

[٥٠] التحرير والتنوير : ١٢٥/١٩

[٥١] التعبير القرآني : ٣٢٨ ، ٣٣١

[٥٢] ينظر : لسان العرب : مادة(سحر)٣٤٨/٤

[٥٣] ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٧/٧

[٥٤] لسان العرب : مادة(رسل)٢٨٣/١١_٢٨٤

[٥٥] لسان العرب : مادة(بعث)٢١٨/٢

[٥٦] ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢٢٥/٢ ، ٢٣٦/٢

[٥٧] ينظر : درّة التنزيل : ٧٥٣/٢_٧٥٤

[٥٨] البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٠٦/١

[٥٩] ينظر : ملاك التأويل : ٢٥٤/٢_٢٥٥

[٦٠] البصائر : ٢٤٨/١_٢٤٩

[٦١] ينظر : على طريق التفسير البياني : ج٢٢٣/١_٢٢٤

[٦٢] الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق : ص٢٧٨

[٦٣] ينظر : لسان العرب : مادة(خسر)٢٣٨/٤

[٦٤] ينظر : المصدر السابق

[٦٥] ينظر : لسان العرب : مادة(وفق)٣٨٢/١٠_٣٨٣

[٦٦] المفردات في غريب القرآن : ص٦٠

[٦٧] المصدر السابق ص٢١٢

[٦٨] البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٣٨/١

[٦٩] البصائر : ٣١٤/١

[٧٠] ينظر : لمسات بيانية : ص٩٧

[٧١] ينظر : لسان العرب : مادة(جيأ)٥٠/١_٥١

[٧٢] ينظر : لسان العرب : مادة(أتى)١٤/١٤_١٦

[٧٣] ينظر : البيان في روائع القرآن : ٢٦٢/١-٢٦٧

[٧٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧٠/٢٠

[٧٥] البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٨٩/١

[٧٦] ملاك التأويل : ٢١٦/١

[٧٧] تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣٠٢/٣

[٧٨] البصائر : ٢١٧/١

[٧٩] ينظر : التعبير القرآني : ص ٣٢٩_٣٣٠

[٨٠] ينظر: لسان العرب : مادة(رسل)١١/٢٨٣_٢٨٤

[٨١] ينظر: لسان العرب : مادة(بعث)٢/٢١٨

[٨٢] غريب القرآن : ٣٣٣/١

[٨٣] البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٥٦/١_١٥٧

[٨٤] البصائر : ٣٥٠/١

[٨٥] ينظر : لمسات بيانية : ص١١١_١١٢

[٨٦] ينظر : لسان العرب : مادة(سلك) ١٠/٤٤٢_٤٤٣

[٨٧] ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف : ٤١٣/١

[٨٨] ينظر المعجم الوسيط: مادة(سلك) ص٤٤٥

[٨٩] ينظر : معجم علم النفس والتربية : ١٩/١

[٩٠] ينظر : أصول علم النفس : ٩/١

[٩١] ينظر : المعجم السلوكي في علم النفس :١٣٤٩/٣

[٩٢] ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٥٤٨/٢

[٩٣] التبيان في إعراب القرآن : ٧٢/٢

[٩٤] ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢٢٥/٢ ، ٢٣٦/٢

[٩٥] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٩٢/٤، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٢/٧، فتح القدير١٧٠/٤، وينظر : روح المعاني: ٧٥/٢٠

[٩٦] البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٨٢/١_١٨٣

[٩٧] الكشاف : ٤٣٧/٤

[٩٨] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢١٧/٥

[٩٩] ينظر : التفسير الكبير : ٣٠٧/٢٩

[100] البصائر : ١/٤٠٠_٤٠١

[101] روح المعاني : ٨٨/٢٧

[102] على طريق التفسير البياني : ج٢/٢٩٩

[103] ينظر : لسان العرب : مادة(نزل)١١/٦٦٠

[104] ينظر : لسان العرب : مادة(هبط)٧/٤٢١

[105] مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٨٢/١

[106] تفسير الطبري : ٣١٣/١

[107] ينظر : لسان العرب : مادة(لقا)١٥/٢٥٥

[108] البيت للمتلمس الضبّي ، وهو من الكامل في ملحق ديوانه عن رواية الأثرم وابي عبيدة عن الأصمعي : ص٣٢٧، والبيت منسوب الى أبي مروان النحوي في شرح التصريح على التوضيح : ١٤١/٢ ، ومنسوب الى مروان بن سعيد في شرح المفصل : ١٩/٨ .

[109] تفسير القرآن العظيم : ٣٤٧/٢

Abstract

Context influence in the selection of single Koranic Empirical Study in the states of redundancy in the Koran

By definition , it is clear to us that to be searched : why is the statement in some way replace the words are almost similar in the sense in repeating verses in the Koran. The first are the ones who cursed the phenomenon , and they placed special attention even features clearly seemed to Anoanat their compositions , The second trend of the commentators , understanding who applied for this phenomenon without the allocation of works to it, but their applications were in the gallery interpretations docking Holy Quran , and this is what can be Ncicvh through Maastamloh of vocabulary clearly indicate between vocabulary tandem minute linguistic differences

Words that are thought to sense where one , but the truth is this: I found that each word of words tandem two meanings : the meaning of the year , a Matchetrk done with peers of synonyms , which can be called a public give indications for a single , and a special meaning : It Maemezha for peers , which can be called to give indications for a single , . The fact and that context is the only official in highlighting these special significance that the study of the illness in the replacement of some Alolfez some may fill the applicants and latecomers who they make interpretation of the Holy Book, is the aspect of the miracle of, so determined and after depending upon the Almighty on the study of this illness for which replaced the words to another are almost close to it in meaning within the verses of repetition in the Qur'an (Mojtzea refined text between verses) and taking the views of scientists forefathers and commentators who have written on this subject gateway to the most complex on the basis of the budget language to those words replaced and then access to those words nuances and on which befell Single below Garintha with in Quranic same